Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اعتقاده بأن كافة معارفنا إنما هى استمداد من الخبرة الناتجة عن تجارب عقلية ، إذ يبدأ عقل الإنسان غفلا من أى شيء ، ثم تبدأ القوى الذهنية فى الوجود على مراحل ، أولها الخيالات المختزنة فى الذاكرة ، وهى ليست سواء فى قوة الحضور أو القرب من التذكر . أما عن الخيال الشعرى فيقول : إن الزمن والثقافة يثمران التجربة ، والتجربة هى التى تكوّن الذاكرة ، والذاكرة تثمر ملكة التمييز والتخيل ، وملكة التمييز تؤدى إلى القدرة على الاستنتاج والبناء ، أما الخيال فهو مصدر الزخرفة فى الشعر[٢٧] . والخيال عند هويز فى حاجة إلى ملكة التمييز ، إنه بدونها مجرد مستودع لافعالية له ، وهى أيضا تضبطه أو تكبحه تماما . وبالنسبة للمبدع فإن ملكة التمييز هى التى تعينه على أن يضع أفكاره فى تعبيرات جديدة ومقنعة معا . وكل هذا سيعنى فى النهاية أن إنجازات الخيال مدهشة ، بشرط أن توجه بالتفاعل مع المبادىء الفلسفية[٢٨] . إن المخيلة تعنى عند هوبر الاحتفاظ بصور الأشياء المرئية بعد زوالها ، ولهذا ربط بينها وبين الوهم ، إذ المخيلة ليست – بهذا المعنى – سوى « تحلل الحس » وهى من ثم موجودة لدى الإنسان ولدى العديد من المخلوقات الأخرى ، فى حالتى اليقظة والنوم ، وحين يعبر عن « التحلل » ويعنى الحواس التى تذوى فى الماضى والحاضر فإن هذا يتساوى وكلمة « الذاكرة » وعلى هذا فالمخيلة والذاكرة اسمان لشيء واحد[٢٩] .

وليس من شك فى أن هوبز يمثل الموقف الكلاسيكى من الخيال ، فلم يجرده من الفائدة ، ولكنها فائدة بيانية ، وظيفته أن يكسو الفكر بلغة جذابة ، ولكن لا مشاركة له فى اكتشاف الحقيقة أو تنظيم المنطق ، وهذا هو الجانب التقليدى من فلسفته ، أما الجديد فهو الوصف السيكولوجى للعمليات الفكرية المعقدة فى الإبداع الفنى ، وذلك حين يقرر أن الخيال مبدأ أساسى لتحويل محتويات الذاكرة إلى صور فنية ، ومن ثم تتحرر الذاكرة نسبيا من سيطرة التجربة الفعلية ، وهذا يحدث عندما يتحكم فيها هدف الفنان ومقصده من الكتابة ، فهو يستطيع أن يوحد بين خبرته وقوة تخيله فى صياغة جديدة باعثة على الارتياح . وقد أقر دريدن تحليل هوبز للبناء الشعرى وعمل على انتشاره[٣٠] ، فربط بين الخيال والذاكرة ، واعتبرهما

---

(٢٧) Fancy and Imagination P. 10-11 والموسوعة الفلسفية ص ٣٨٨

(٢٨) I bid, P. 12.

(٢٩) النقد الأدبى جـ ١ ص ٣٧٠

(٣٠) Fancy and Imagination, P. 13.